

مظاهر النزعة الإنسانية عند شعراء الرابطة القلمية

طالب دكتوراه- كلية الدراسات العليا
جامعة كسلا

أ. صلاح التوم إبراهيم محمد

أستاذ مشارك- كلية التربية - جامعة كسلا

د. ميرغني حمد ميرغني حمد

المستخلص:

يهدف هذا البحث لإبراز مظاهر وتجليات النزعة الإنسانية لدى شعراء الرابطة القلمية في المهجر الأمريكي الشمالي، وتأتي أهمية البحث من خلال ذبوع هذه النزعة عند شعراء الرابطة القلمية، اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: شذوع مظاهر النزعة الإنسانية لدى جميع شعراء الرابطة القلمية كالتسامح الديني، المحبة، الإخاء المساواة، نصره الضعفاء، والحنين إلى الأوطان، وقد لعب شعراء الرابطة القلمية دوراً أساسياً في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي مطلع القرن العشرين، ويوصي الباحث بالتوسع في الدراسات الأدبية حول شعر المهجر. الكلمات المفتاحية: النزعة الإنسانية، مظاهر، الرابطة القلمية، شعر المهجر.

Manifestations of the human tendency among the poets of the pen association

Salah Eltoom Eibrahim Mohmmmed

Margani Hamed Margani Hamed

Abstract:

This research aims to highlight the manifestations of human tendency among the poets of the pen association. The researcher adopted the descriptive method. The researcher reached a number of results:

Monifestations of humanism were commom amany poets of the poets of pen association, such as religious to lerance, love, brotherhood, equality, weak and poor supporters and homesick . The poets of immigrants association in North America played a key role in the poetic renaissance that the world knew at the beginning of the twentieth century and they were the symbols of this renaissance, they markers, and its emitters, too.

Key words: humanism, Manifestations, pen association, immigrant poets

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن أتبعهم إلى يوم الدين وبعد:

قد قدر للشعر العربي الحديث أن يتجدد باغتراب عدد من الأدباء والشعراء عن أوطانهم ضمن قوافل الهجرة التي شهدتها بلاد الشام وبخاصة لبنان وسوريا إلى بلاد الأمريكتين وغيرهما، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري لأسباب عديدة منها، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

قوت هذه الهجرة ارتباطهم الإنساني بأوطانهم وأشجانهم على الرغم مما واجهوه فيها من ألوان العنت، وصنوف الألم، حتى لجت في نفوسهم لواعج الإنسانية الصادقة بكل ألوانها من حنين وشوق وإخاء وتتبع أخبار الأوطان والتطلع واللهفة للرجوع إليها.

قد أفرزت تلك الظروف التي عانى منها شعراء المهجر شعراً أصبح ثورة رائعة في صفحات أدبنا العربي الحديث، اكتنفته ظروف معينة أسهمت في تكوينه فجعلته يتخذ طابعاً خاصاً يتميز به. ومن خلال اطلاع الباحث على شعر المهجريين لا سيما شعراء المهجر الشمالي، لاحظ ما تميز به شعراء الرابطة القلمية من نزعة إنسانية شاملة، فجاء عنوان البحث عن «مظاهر النزعة الإنسانية عند شعراء الرابطة القلمية».

مشكلة البحث :

- ما أسباب وبواعث هجرة شعراء الرابطة القلمية؟
- متى أنشأت الرابطة القلمية وما أبرز أعلامها وما أهدافها؟
- ما مفهوم النزعة الإنسانية؟
- ما أبرز مظاهر واتجاهات النزعة الإنسانية عند شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي؟

أهمية البحث :

1. لم يعثر الباحث على دراسات سابقة كافية تفي بحق الموضوع وتغطي جوانبه، إذ أنّ أغلب الدراسات التي تناولت الشعر المهجري وشعره كانت تتجه نحو موضوعات أخرى.
2. عكس صدق المشاعر الإنسانية لأولئك الشعراء والتي برزت من خلال أشعارهم وصوروا فيها تجاربهم في صدق، لم يكن هدفهم الشهرة ولا مصلحة ذاتية يتطلعون إليها.
3. الحاجة إلى دراسة النزعات الإنسانية عند شعراء المهجر لتنمية الإتجاهات الإيجابية لدي المستفيدين من البحث.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ وهو استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر أخرى، كما أنه لا يقف عند حدود الظاهرة وإنما يهدف إلى تقييمات ذات معنى بقصد التبصر بتلك الظاهرة⁽¹⁾.

الدراسات السابقة:

تحصل الباحث على عدد من الدراسات السابقة، ذات صلة بموضوع البحث، منها:
الموضوعات الأساسية في شعر الرابطة القلمية: جرجس سعادة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1995.
الاعتراب والحنين في الشعر المهجري: محمد موسى البلولة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2010.
شعر المهجر قضايا ومميزاته: فوزي يوسف إبراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة الجزيرة، السودان، 2013.
النزعة الإنسانية في شعر رشيد أيوب: سليمان إيمان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة ألكلي أولحاج، الجزائر، 2013.
جماليات الشعر المهجري إيليا أبو ماضي أمودجاً : الربح جغابة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2015. واستفاد الباحث من تلك الدراسات السابقة أمّا فائدة، في مجالات عدة من أهمها : منهجية البحث، والإطار العام للبحث، والاطلاع على عدد من المراجع والكتب ذات الصلة بموضوع البحث، وفتحت أمامه الباب واسعاً لدراسة متأنية حول موضوع بحثه، وإن كانت هناك حسنة تسجل لهذا البحث، فإنه استطاع أن يجمع بين شعراء الرابطة القلمية، وتقصى أسباب شيوع مظاهر النزعة الإنسانية عندهم.

أسباب ودوافع هجرة الشعراء:

قد كان وراء هجرة شعراء المهجر العديد من الأسباب والبواعث التي تضافرت جميعها أو معظمها لتشكل لهم دوافع قوية، خاصة لمن تهيأت لهم ظروف الهجرة في ذلك الوقت؛ وقد اختلف المؤرخون في تقدير أسباب الهجرة، وهم برغم هذا الاختلاف الظاهر مجمعون على أن السبب الأول والمباشر لتلك الهجرة إنما هو دافع اقتصادي نجم عن فقر بلادهم وقلة أرزاقها، بالإضافة إلى عامل سياسي، هو اضطهاد الدولة الحاكمة للرعيا وسوء الإدارة وفساد الأحوال⁽²⁾؛ نضف إلى ذلك الدافع الديني، فقد تنوّعت الأقليات في بلاد

الشام في العهد العثماني، فكان هناك عدد من العصبية الإقطاعية والطوائف الدينية تمثلت في الدروز والنصيرية والبدو⁽³⁾، وطوائف غير إسلامية مثل الروم والأرثوذكس، وطائفة الأرمن، والكاثوليك، والموارنة، وطائفة اليهود الذين كانوا متمركزين في دمشق⁽⁴⁾، فهذا التنوع الديني كان له دور مؤثر في الاضطهاد الديني والتضييق على الأقليات، والعصبية التي أشعلتها السياسة التركية بين أبناء الإقليم الواحد، واستخدام سياسة «فرق تسد»، وبسبب هذه السياسة الخرقاء جرت مذابح دموية هائلة، ومجازر بشرية، كمذبحتي (1840م و1860م)⁽⁵⁾، ويضاف إلى تلك العوامل عامل آخر، هو سهولة الهجرة إلى تلك البلاد النائية؛ فلم تكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها، وعن ذلك يقول عبد المنعم خفاجي: «فرص الغنى والثراء كانت في هذه المهاجر البعيدة كثيرة ومواتية، فأراضيها فسيحة، والسكان قليلون، وشتى مرافق الصناعة والتجارة والزراعة فيها في حاجة شديدة إلى الأيدي العاملة الكثيرة»⁽⁶⁾. ومن ذلك يرى الباحث أن هجرة أبناء العرب - آنذاك - كانت ضرورة، ولا مفرّ منها في تلك الظروف الخاصة، وأنها كانت دوافع كافية لأن يترك المهاجرون أوطانهم؛ في سبيل التماس الحياة الكريمة، والحرية، وفراراً من الضغوط السياسية والدينية والاقتصادية.

نشأة الرابطة القلمية وأعلامها:

التقت آراء جماعة من أدباء المهجر في أمريكا الشمالية حول فكرة واحدة، هي ضرورة إنشاء رابطة توحد جهودهم، وتضم قواهم، في سبيل النهوض باللغة العربية وآدابها، تقول دكتورة نادرة سراج عن نشأة الرابطة القلمية: «في الثامن والعشرين من إبريل سنة 1920م أصبحت «الرابطة القلمية» حقيقة واقعة، ففي اجتماع لهم عند جبران، قرر المجتمعون إخراج الجمعية إلى حيز الوجود وتسميتها باسم «الرابطة القلمية»؛ والذين حضروا الاجتماع هم: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد، ندرة حداد، إلياس عطا الله، وليم كاتسفليس، نسيب عريضة، ورشيد أيوب»؛ وانضم إليهم فيما بعد الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي والكاتب وديع باحوط؛ وقد أقروا شروطاً لتأسيس الرابطة القلمية وهي كما ذكرتها دكتورة سراج في كتابها «شعراء الرابطة القلمية»⁽⁷⁾:

أن تُدعى الجمعية «الرابطة القلمية» وبالإنجليزية «Arrabithah».

أن يكون لها ثلاثة موظفين وهم: الرئيس ويدعى «العميد»، فكاتم السر ويدعى «المستشار»، فأمين الصندوق ويدعى «الخازن».

أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات: عاملين ويدعون «عمالاً»، فمناصرين ويدعون «أنصاراً»، فمراسلين. أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين، وبترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية.

أن تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء.

ثمّ انتخب الحاضرون جبران خليل جبران عميداً للرابطة بإجماع الأصوات، وميخائيل نعيمة مستشاراً، ووليم كاتسفليس أميناً للصندوق؛ ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون، يحملون اسم «العمال» هم: إيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، وعبد المسيح حداد، وندرة حداد، ووديع باحوط، وإلياس عطا الله⁽⁸⁾. وقد كان أعضاء الرابطة العشرة عصابة صغيرة، - كما يقول ميخائيل نعيمة - تفاوتت قواها، ولكن توحدت نزعاتها ومراميتها»، ولم يكونوا متكافئين في المواهب والإنتاج، ولكنهم كانوا متقاربين في الميول الأدبية،

والذوق الفني⁽⁹⁾. ورسوم جبران خليل جبران عميد الرابطة شعاراً جميلاً يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحته خُطت هذه العبارة «لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء» ومن فوق الكتاب قد أطلت شمس أشعتها نصف الدائرة الأعلى، وعند أسفل الكتاب سراج شطره الأيمن محبرة قد انغمس فيها قلم فتحول حرها إلى لسان من نور خارج من طرف السراج الأيسر، ومن تحت الدائرة اسم «الرابطة القلمية» مخطوط بأحرف مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية ومن تحته اسم الرابطة بالإنجليزية⁽¹⁰⁾. أما أكثر عمال الرابطة نشاطاً في الإنتاج الأدبي، وغزارة في المادة، وأبعدهم أثراً في حياتها، وفي الأدب المهجري؛ فكانوا خمسة، وهم:

جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ويليهم نسيب عريضة، ورشيد أيوب، فهؤلاء كان يتميز إنتاجهم بالخلق والإبداع، من جهة، وبروعة التجديد من جهة أخرى؛ وسرعان ما انتشر أدبهم في الدنيا العربية كلها، لما يحمله من بذور الحياة الجديدة⁽¹¹⁾. ولقد ظلت الرابطة القلمية حيّة بأعضائها العشرة نحو إحدى عشرة سنة - من سنة 1920م إلى سنة 1931م - ثم تبعثت حباتها، حين راح مقص الموت يقلّم أغصان تلك الدوحة الفارعة، وهي أغنى وأسخى ما تكون بالثمار الطيبات مبتدئاً بعميدها جبران خليل جبران، ثم تلاه برشيد أيوب، وإلياس عطا الله، ونسيب عريضة، ثم ندره حداد، فوليم كاتسفليس، فوديع باحوط، فيلييا أبو ماضي؛ ثم توفي عبد المسيح حداد⁽¹²⁾. وعلى الرغم من أن أدباء الرابطة تعمقوا في الآداب الغربية واستمدوا منها بعض صورهم، وتأثروا ببعض مدارسهم الأدبية؛ لكنهم لم يذوبوا فيها؛ وهذا ما تؤكدته دكتورة نادرة سراج، بقولها: «فمن الثابت أن الرابطة القلمية لم تتأثر خُطى أي رابطة عربية قديمة في الشرق أو الغرب، بل على العكس، لقد كان من أهدافها أن تكون جديدة في بابها، طريفة في أسلوبها، لم يسبق لها مثيل في الأدب العربي»⁽¹³⁾.

مفهوم النزعة الإنسانية:

عندما نقول « النزعة الإنسانية » ، فإننا أمام لفظتين :

أولهما- النزعة:

لم يرد في معجمي «لسان العرب» و «القاموس المحيط» لفظة «النزعة» (بتسكين الزاي)، وقد ورد في لسان العرب: نَزَعَ الشيء يَنْزَعُهُ نَزْعاً فهو مَنْزُوعٌ ونَزِيعٌ، وفي باب نَزَعَ ورد أيضاً: نازعتني نفسي إلى هواها نزاعاً، غالبتني ونزعتها أنا؛ غلبتها، ويقال للإنسان إذا هوى شيئاً ونازحته نفسه إليه: هو يَنْزَعُ نِزَاعاً، ومِنْهُ: نَزَعَ إلى أهله، والبعير إلى وطنه يَنْزَعُ نِزَاعاً ونَزُوعاً: حنّ واشتاق، وهو نَزُوعٌ، والجمع: نَزَعٌ. والنزاع: الغرياء، وفي الحديث «طوبى للغرباء»⁽¹⁴⁾، قيل مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: النُّزاعُ مِنَ القبائل، وهو الذي نَزَعَ عن أهله وعشيرته، أي بَعُدَ وغاب، وقيل: لأنه نَزَعَ إلى وطنه أي ينجذب ويميل، والمراد الأول، أي طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى، ونَزَعُوا إلى عرق كريم⁽¹⁵⁾. وجاء في تاج العروس للزبيدي: ومن المجاز: نَزَعَ الغريب إلى أهله نَزَاعَةً كسحابة، ونَزاعاً بالكسر، ونَزُوعاً بالضم: أي حنّ واشتاق، ومنه حديث بدء الوحي: «قَبِلَ أَنْ يَنْزَعَ إِلَى أَهْلِهِ»⁽¹⁶⁾، وقالوا: نَزُوعٌ والجمع نَزَعٌ، يقال نَزَعَ الصبي نَزُوعاً: انتهى عنها وكف، ومن المجاز: نَزَعَ أباه، ونَزَعَ إليه إذا أشبهه، وفي الأساس يقال للمرء إذا أشبهه أعمامه أو أخواله نَزَعَهُم ونَزَعُوهُ ونَزَعَ إليهم، ونَزَعَ إلى أبيه في الشبه: أي ذهب⁽¹⁷⁾.

ثانيها- الإنسانية:

عرّف ابن منظور في معجمه « لسان العرب » : «الإنسان» على أنّه معروف، أي أننا لسنا بحاجة لدليل عليه بسبب معرفته للجميع، و«الإنسان» أصله «إنسيان» لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره «أنسياناً» فدلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم⁽¹⁸⁾. وجاء أيضاً في «لسان العرب» لابن منظور: والأنْسُ: خلاف الوحشية، وهو مصدر قولك أنستُ به، أنساً وأنسة، وفي ثنانيا التعريف يذكر ابن منظور بأنّ لفظة «إنسان» تقال للمرأة، فلا يصح أن يقال لها: إنسانة. ويذكر أحمد النعيمي في كتابه «الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر»: «أنّ لفظة «إنسانة» من المفردات المولدة»⁽¹⁹⁾. ويذهب ابن منظور إلى أنّ العرب قاطبة تقول: الإنسان، إلا طيناً، فهم يجعلون بدل النون ياء، معتمداً في ذلك على روايتين متفتحتين؛ الأولى للحَيَّانِي والذي يذكر أنّ قبيلة «طى» تقول: إيساناً بدل إنساناً، والثانية للفراء ويقول فيها: «العرب جميعاً يقولون الإنسان إلا طيناً، فإنهم يجعلون مكان النون ياء، أي: إيسان وجمعها: آياسين؛ ومن ذلك قول جرير الطائي⁽²⁰⁾:

فَيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا طَافَ أَهْلُهَا هَلَكْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ بِهَا صَوْتِ إِيْسَانَ

أما لفظة «الإنسانية» لم يعثر الباحث في معظم المعاجم اللغوية القديمة على تعريف لغوي لها - وإن وجد فهو مختصر - وكان «محيط المحيط» لبطرس البستاني أول معجم ذكر فيه لفظة «الإنسانية»، وأوردتها بعده معجم «أقرب الموارد» للشرتوني، ثم أوردتها «المنجد» للأب لويس المعلوف، واتفقت كل تلك المعاجم على أنّ الإنسانية: ما اختص به الإنسان، وكثر استعمالها للمحامد كالجود وكرم الأخلاق⁽²¹⁾.

ويقول دكتور فوزي يوسف إبراهيم: «المدقق في كلمة «الإنسانية» يدرك أنّها مصدر صناعي اصطلاح عليه حديثاً للدلالة على ما يقابله عند الغربيين من لفظ (Humanity)؛ ومعاجمنا القديمة لم تذكر كلمة الإنسانية، على الرغم من اشتغالها على كلمة «إنسان» بنحو ثمان ألف لفظ⁽²²⁾.

وإذا تجاوزنا المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي للفظ «الإنسانية»، وجدنا العديد من التعريفات التي لا حصر لها، تقول الدكتورة عزيزة مريدن: «ليس من السهل التوصل أو الركون إلى تعريف واحد للإنسانية، أو مفهوم دقيق ثابت يجمع صفاتها كلها، ويحيط بمضمونها الواسع، وجوانبها المتعددة، والبحث في الإنسانية محفوف بالصعوبات بقدر ما هو شيق وظريف، لأنّ هذه الكلمة مشتقة في الأصل من الإنسان، فحينما نتكلم عن الإنسانية، فإنّما نتكلم عن كل ما يمت بصلة بالإنسان⁽²³⁾.

يرى الباحث أنّ أكثر الأدباء قد جسّدوا الإنسانية وصوروها في شعرهم، ووسّعوا آفاقها؛ فيقول محمد عبد الغنى: «ظلت الإنسانية على يد علماء اللغة والمعاجم، ولكن الله عوضها خيراً على يد الشعراء الذين وسّعوا آفاقها، فأحوّلوها إلى معاني رفيعة، وأهداف سامية، ولم يتبادلوها بالتعريف بقدر ما تناولوا آثارها في الحياة ومظاهرها في المجتمع، فإنّ الشعراء عادة لا يهتمون بالتعريفات بقدر ما يهتمون بالأهداف والغايات...⁽²⁴⁾.

ذكر العقاد أنّ⁽²⁵⁾: «الإنسانية من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة، نسبها واحد وإلهها واحد، خيرها من عمل حسناً، واتقى سيئاً، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} الحجرات، آية 13

ومن تلك المعاني والتعريفات للفظه «الإنسانية»، يلاحظ الباحث أنّ لفظه الإنسانية مفهوما العام رسالة عالمية ترتبط بالأخلاق ولا تحدها أي حدود، ولا ترتبط بجنس أو نوع أو دين أو لون، فهي دعوة للمحبة والإخاء والسلام .

مظاهر النزعة الإنسانية عند شعراء الرابطة القلمية:

أولاً - الحنين إلى الأوطان:

ارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همماً شديداً، ويروى أنّه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الدُّل؟ قال: التَّنْقُلُ في البلدان والتَّنجِي عن الأوطان؛ فهذا هو الشاعر الحمصي نسيب عريضة يناجي «أم الحجارة السود» (حمص)، ويحن إليها رغم المسافات الشاسعة التي تفصله عنها، مقيد بترابها يتمنى لو يعود إليها ولو كان في طيات الكفن، فيقول⁽²⁶⁾:

بَدَلُ الْهُدَى أَحْجَارُهَا سَوْدٌ نَعَمَ لِلَّهِ دَرُّ سَوَادِكِ الْمَعْبُودِ
الذِّكْرِيَّاتُ وَقَدْ بَرَزْنَ عَلَانِيَةً نَادَيْنَ عَنْكَ بِحَسْرَةِ الْمَطْرُودِ
يَا حِمصُ يَا بَلَدِي وَأَرْضَ جُدُودِي

إلى أن يقول:

عُدِّي إِلَى حِمصٍ وَلَوْ حَشَوُ الْكَفَنِ وَاهْتَفِ أَتَيْتُ بِعَاثِرٍ مَرْدُودِ

أما رشيد أيوب يقول عن لبنان⁽²⁷⁾:

مَغَانٍ شَدَوْتُ الْأَمْسَ حُبًّا بِذِكْرِهَا فَأَصْبَحْتُ أَبْيَ الْيَوْمِ تِلْكَ الْمَغَانِيَا

أما الشاعر الحمصي الآخر نُدرة حداد، فيحن إلى نهر العاصي حيناً يذكره لا بهذا النهر فحسب، بل بشقيقه الآخرَين اللذين يعاوانانه في ربي البلاد السورية فيتحدث عن هذه الأنهار قائلاً⁽²⁸⁾:

ثَلَاثَةٌ مِنْ مَنْزِلٍ وَاحِدٍ
أَبْنَاءُ شَيْخٍ وَالِدٍ مَاجِدٍ
مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الْجَبَلِ الْخَالِدِ
مَضُوا لِيَسْقُوا بُقْعَةً زَاهِيَةً

وواضح أنّ هذه الأنهر الثلاثة التي يذكرها الشاعر هي: نهر «العاصي» الذي يروي مدينة حمص وما حولها من رياض، ونهر «البردوني» الذي يسير في سهل البقاع ماراً بمدينة زحلة الشهيرة في لبنان، وأنّ ثالث الأنهار فهو نهر «بردي» غوطة دمشق الفيحاء. وبالعودة للشاعر اللبناني «رشيد أيوب»، فنجده يفصل في مغاني لبنان وأماكنه الجميلة التي يحمل لها ذكريات كثيرة، ولا عجب أن يهيج ذكر لبنان عنده عاطفة الشوق والتذكار، فهو دائماً ذلك الشاعر الرقيق القلب العاطفي الحنون الذي يحمل لمرايح صباه أجمل الذكريات، فيقول⁽²⁹⁾:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ غَدِيرٌ أَحْبَبُهُ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ النُّوحَ مَا زَالَ جَارِيَا
وَهَلْ ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي بِشِمَالِهِ تَرَعَّرَعْتُ حُرّاً يَذْكُرُ الْيَوْمَ نَائِيَا
وَهَلْ نَسَمَاتٌ عِنْدَ صَيْنٍ لَمْ تَزَلْ مِيْمَنَةً تَدْرِي بِحَالِي وَمَا بِيَا

والحنين إلى الأوطان ليس جديداً على الأدب العربي، ولكن جدته في أدب المهجر تظهر أولاً في أنه ظاهرة شائعة لم تعهد من قبل في أدب العرب حيث كان مجرد ومضات خاطفة، ولمحات قليلة، تبدو عند بعض الشعراء. وثانياً في عمقه وحرارته، وصدقه وقوته. وثالثاً في رفته العاطفية، وجرسه الساحر المؤثر، يقول حسن جاد معللاً ظاهرة الحنين للأوطان في شعر المهجريين: «وإنما يرجع ذلك إلى أن الشاميين قد خلفوا وراءهم أوطانهم بما فيها من جمال الطبيعة، وسذاجة الحياة، وسكينة النفس، وروحانية الشرق إلى جانب ما يصطرع فيها من ظلم وفساد».

ويرافق الحنين إلى الوطن عند شعراء «الرابطة القلمية» نغمات أخر فيها عنف ورقة، وفيها اضطراب وإثارة؛ تلك هي نغمات الوطنية والقومية، فهم يتألمون وتثور لواعجهم لما تعانيه أوطانهم من أنواع العبوديات: العبودية للمستعمر البغيض، والعبودية للجهل وللتفرقة الاجتماعية، بين أبناء الوطن الواحد؛ فالشاعر المهجري يعبر عن إحساس قومه ومشاعرهم، مثلما يعبر عن إحساس نفسه ومشاعرها، وأن الأحداث التي تمر في وطنه الأم تترك صدى عميق في قلبه وشعره، فها هو ميخائيل نعيمة تهزه مجاعة لبنان، فتختلج عاطفته الوطنية بهذه الأناث الدامية، فيقول⁽³⁰⁾:

فلا تَهْزِجِ لِمَنْ سَادُوا وَلَا تَشْمَتِ بِمَنْ دَانَ
بَلْ ارْكَعِ صَامِتاً مِثْلِي بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَامٍ
لِنَبِيِّ حِظِّ مَوْتَانَا
فَلا تَطْلُبْ إِذَا مَا عُدْتَ لِلْأَوْطَانِ خَلَانَا
لَأَنَّ الْجُوعَ لَمْ يَتْرِكْ لَنَا صَخْباً نُنَاجِيهِمْ

ويقول عبد المنعم خفاجي، عن مدى تعلق المهجريين بأوطانهم: «ما سقطت دمعة من مواطن عربي - في الوطن الأم - إلا وسالت أغنية حزينة في مقطوعة شعرية لشاعر مهجري، وما زف حزين وتأوه في المشرق العربي إلا وكان لأهته وزفرته صدى عميق مؤثر في الشعر العربي⁽³¹⁾.

ويتدفق الحنين إلى الأوطان في دواوين شعراء «الرابطة القلمية» دون انقطاع، فها هو «إيليا أبو ماضي»، إذ ما تكاد تتقدم به الأيام، وهو في مغتربه حتى تهيجه الذكريات في عاطفة إنسانية نبيلة إلى وطنه «لبنان»، فيحن إليه حنيناً صامتاً حيناً، ثائراً أحياناً، وأصبح يرى حياته في أمريكا جحيماً لا يطاق، فيقول⁽³²⁾:

نَأَى عَنِّ أَرْضِ مَصْرَ حَدَارَ صَيِّمٍ فَفَرَّ مِنَ الْعَذَابِ إِلَى الْعَذَابِ

حتى إذا رأى باخرة متجهة إلى بلده حملها سلاماً وتشوقاً وحنيناً ونداءً حاراً فيه عاطفة وصدق ووفاء:

يَبْرُوثُ يَا بِنْتَ الْبِحَارِ الْجَارِيَّةِ فَإِذَا سُئِلْتَ مِنَ الْبَقَايَا الْبَاقِيَّةِ
فُؤِي لَهُمْ: إِنَّ الْحَايَةَ الْهَانِيَةَ لَمْ تَنْسَا سَكَانَ تِلْكَ النَّاحِيَّةِ

ولا يكتفي بذلك بل ينسب فضل تكوينه وخلقه لوطنه، فيقول:

بَنِي وَطَنِي! مَنْ أَنَا فِي الْوُجُودِ

وَمَا هُوَ شَأْنِي وَمَا هُوَ مَوْضِعِي

وَلَوْلَاكُمْ لَمْ أَكُنْ بِالْخَطِيبِ

وَلَا الشَّاعِرِ السَّاحِرِ الْمُبْدِعِ

ومن أجمل حنين أبي ماضي، وأصدق وأكثره حرارة قصيدته، «أمنية مهاجر» بنغمة تفيض ألماً ومرارة من المهجرة والبعد عن الأهل والوطن؛ إذ نلاحظ في هذه القصيدة «أمنية مهاجر»، اللّهُفة الحارة وندم الشاعر على البعد عن الوطن والأهل، وأنّه في «نيويورك» بجسمه فقط، أما روحه فهي في الشرق على تلك الهضاب، فيقول فيها⁽³³⁾:

جَعْتُ وَالْخُبْرُ وَفَيْرٌ فِي وَطَانِي وَالسَّنا حَوْلي وَرُوجِي فِي صَبَابِ
وَشَرِبْتُ المَاءَ عَذْباً سَائِغاً وَكَأَنِّي لَمْ أَذُقْ غَيْرَ سَرَابِ
أَنَا فِي نِيُورِكْ بِالْجِسْمِ وَبِالرُّوحِ فِي الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الهَضَابِ

إنّ ارتباط شعراء الرابطة القلمية بوطنهم وحبهم له، وتمسكهم به، ظاهرة إنسانية ملازمة لهم؛ فالوطن عندهم ليس مكان الذكريات فحسب، لكنه لحظة عشق يختارها الإنسان حتى الموت، فما هو نسيب عريضة له نفسان، نفس رهينة الوطن وأخرى رقيقة الاغتراب، وهذا يدل على شدة حنينه وولعه بوطنه الذي هجره آملاً تحقيق أمانيه وآماله في العالم الجديد، وكل ذلك لم ينسه الربوع، فيقول⁽³⁴⁾:

أَنَا المَهْجَرُ ذُو نَفْسَيْنِ وَاحِدَةً تَسِيرُ سِيرِي وَأُخْرَى رَهْنِ أَوْطَانِي
ابْنُ العَرُوبَةِ لَا أَسْأَلُ الرُّبُوعَ وَكَلِمَةً كَانَتْ مَثِيرَةً أَوْصَابِي وَأَشْجَانِي
مَا إِنَّ أَبَالِي مَقَامِي فِي مَعَارِبِهَا وَفِي مَشَارِقِهَا حُبِّي وَإِيمَانِي

وهكذا نرى أنّ الحنين في شعر «الرابطة القلمية» يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغربة، التي صهرتهم بمراثيها، وقسوة الحياة فيها؛ مما فتق أذهانهم، وألهب مشاعرهم، فصاروا يعيشون بأجسادهم في الغرب، وأفكارهم قد أصبحت وقفاً على أوطانهم في الشرق، وصدق دكتور نظمي بديع حينما قال: «أعطى غربة أعطك حينئذ»⁽³⁵⁾. وكثيراً ما يذكر شعراء «الرابطة القلمية» أسماء أوطانهم (لبنان وسوريا) في شعر الحنين، يقول أبو ماضي مشتاقاً إلى وطنه لبنان، وإلى صيفه، وشتائه، وهضابه، وثلجه⁽³⁶⁾:

اثْنَانِ أَعْيَا الدَّهْرُ أَنْ يُبْلِيَهُمَا لُبْنَانُ وَالْأَمَلُ الَّذِي لَدَوِيهِ
وَطَنِي سَتَبْقَى الأَرْضُ عِنْدِي كُلَّهَا حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ أَرْضَ التِّيهِ

وقد جسد حب الحنين لدى شاعرنا إيليا أبو ماضي الكيان المعنوي للوطن، فجعله أرضاً هي في نظره أمتع أرض، وسماء هي في عقيدته أرفع سماء، وربوعاً في إحساسه أعظم ربوع، وناساً هي أكرم عشيرة عليه، وغير ذلك من المعاني الإنسانية السامية النابعة من نفس ملؤها الحنين الصادق، والعاطفة الجياشة، وقد ساق تلك المعاني في أبيات قصيدته «تأملات» التي يحن فيها إلى ربوع سوريا ولبنان، فيقول فيها⁽³⁷⁾:

الأَرْضُ سُورِيَا أَحَبُّ رُبُوعِهَا عِنْدِي وَلُبْنَانُ أَحَبُّ رُبُوعِهَا
وَالنَّاسُ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّ عَشِيرُهَا رُوجِي الْفِدَاءِ لِرَهْطِهَا وَوَلَايُهَا

وقصيدة «حنين» للشاعر رشيد أيوب خير شاهد على حبه وحنينه إلى لبنان، يقول فيها⁽³⁸⁾:

فَحَنِينٌ وَأَنْيُنٌ وَزَفِيرٌ ذَاكَ دَائِي مُنْذُ وَدَّعْتُ الْبِلَادِ
كِدْتُ مِنَ شَوْقِي لِبْنَانِ أَطِيرُ بَدَا لَوْ تَمَّ لِي نَيْلُ المُرَادِ

وقد ارتاح المهجريون من شعراء «الرابطة القلمية» للحديث غير المباشر عن الوطن، ووجدوا في الرمز مجالاً أوسع لخيالهم من مجال الحقيقة؛ على أنّ الشعر الذي قالوه في الحنين مباشرة، قام على الصدق

والبساطة، وجاء شعراً مؤثراً جميلاً، غير أنهم لو وقفوا عنده واكتفوا به، لما كان لهم هذا الشأن؛ ومن ذلك مدى تجسم الغاب والطبيعة في شعرهم، وكل ذلك قائم على نوع من الحنين المثالي؛ فمثلاً قصيدة «المواكب» لجبران خليل جبران الذي خصّ وطنه الأم (لبنان) بجزء خاص منها، ففيها يتخيل نفسه بين أحضانها يعانق جبالها ويحتضن روايبيها، فيقول⁽³⁹⁾:

هَلْ تَخَذَتْ الْغَابَ مِثْلِي مَنْزَلاً دُونَ الْقُصُورِ
فَتَتَبَعْتُ السُّوَاقي وَتَسَلَّقْتُ الصَّخُورَ

وما غاب الوطن لحظة عن ضمير شعراء المهجر، فهو مائل دائم الحضور في ضمائرهم؛ وقد عبّر عن ذلك أبو ماضي في قصيدته «شبح» بقوله⁽⁴⁰⁾:

لُبْنَانُ فَيْكُمْ مَاثِلٌ أَنْ كُنْتُمْ إِنْ بِنْتُمْ عَنْهُ فَمَا زَالَ الْهُوَى وَحَرَآكُم لِعَلَّاهُ وَسُكُونُكُمْ	فِي مِصْرٍ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ فِي الصِّينِ يُذْنِيكُمْ مِنْهُ كَمَا يُذْنِينِي وَإِلَى ثَرَاهُ حَنِينُكُمْ وَحَنِينِي
--	--

ولم يكتف شاعرنا أبو ماضي بذلك، بل يناجى البلاد العربية، فما هي إلا امتداد لوطنه، وهي على بعدها أقرب إلى قلبه من نيويورك، وشوارعها الساحبة، فها هو يناجي مصر ولبنان في قصيدته «عيد النهي»، قائلاً⁽⁴¹⁾:

وَطَنَانِ أَشَوْقُ مَا أَكُونُ إِلَيْهِمَا وَمَوَاطِنُ الْأُرُوحِ يَعْظُمُ سَأْنَهَا	مِصْرُ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا وَبِلَادِي يَا لِنَفْسِ فَوْقِ مَوَاطِنِ الْأَجْسَادِ
---	---

وها هو رشيد أيوب؛ فذكريات وطنه وأهله، تهيج لواعج الشوق والهوى في نفسه، فيقول⁽⁴²⁾:

يَا ثَلُجٌ قَدْ هَيَّجْتَ بِاللَّهِ عَنِّي قُلُوبَ لِإِخْوَانِي كَمْ قَدْ جَلَسْتُ بِحُضْنِهِ الْهَادِي	أَشْجَانِي ذَكَرْتَنِي أَهْلِي بِلُبَّانِ مَا زَالَ يَرَعَى حُرْمَةَ الْعَهْدِ فَكَأَنِّي فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
---	---

وإذا نظرنا نظرة متأنية في دواوين رشيد أيوب الثلاثة - الأيوبيات، أغاني الدرويش، هي الدنيا - نلاحظ مدى تعلقه بأرض الوطن، وتوقفه لمراتع الصبا، فقد بكى واستبكى، وجعل روحه معلقة بوطنه، فها هو يقف على نهر «الهدسن» في مدينة نيويورك، قائلاً⁽⁴³⁾:

تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي عَلَى سَاطِئِ النَّهْرِ وَأَرْسَلْتُ دَمْعاً قَدْ جَنَّتْهُ يَدُ أَصْوَعِ الْقَوَافِي حَالِيَاتِ نُحُورِهَا فَلَا النَّارُ فِي صَدْرِي تَجْفُفُ أَدْمُعِي	فَجَاشَتْ لِهَيْبِ الشَّوْقِ فِي مَوْضِعِ السَّرِّ النَّوَى عَلَيَّ قَامَسِي فِي مَنْتَحَبِ الْقَطْرِ عَرَائِسُ أَبْكَارٍ بَرَزْنَ مِنْ الْخُدْرِ وَلَا عِبْرَاتِي تَطْفِي النَّارَ فِي صَدْرِي
---	--

نخلص إلى أن شعراء الرابطة القلمية وأدباءها، بالرغم من قساوة الحياة التي عاشها كثير منهم في بلاد الغرب، لم ينسوا أوطانهم؛ بل زادت تلك المعاناة من نعمات حنينهم إلى أوطانهم، وظلوا مرتبطين بها بعوامل شتى، فهناك طبيعة بلادهم الجميلة التي لم يكن من السهل عليهم نسيانها والتي كانوا دوماً يحنون إليها ويتمثلونها في جمال الرياض وخرير الأنهار، وحفيف الأشجار وغناء الطياري؛ كما قال أمير الشعراء، أحمد شوقي:

وَطَنِي لَوْ شَغَلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نَازَعْتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي

ثانياً - التسامح الديني:

هاجر شعراء الرابطة القلمية إلى بلاد المهجر، حاملين معهم تلك النظرة المتمثلة في التعصب الديني والطائفي الذي عانوا من ويلاتهم، وإذا بهم يجدون في بلاد المهجر تقديس الحرية في المعتقدات، فتسربت إلى قلوبهم هذه النظرة السمحة الواسعة إلى الدين، فتغنوا بهذه السماحة الدينية والتي سرت في أعمالهم الأدبية ولونت مشاعرهم، وكانت الحرية الدينية مذهبهم، ولم يعرفوا التعصب الذي يحجب الحقيقة عن الإنسان، يقول جبران خليل جبران: «خذوها يا مسلمين كلمة من مسيحي أسكن يسوع في شطر حشاشته ومحمداً في الشطر الثاني»، فرعيم أدياء المهجر الشمالي «جبران» فقد تميز بتسامح ديني ظاهر، وما ذكر المعبد في كتاباته إلا ذكر المسجد، وما ذكر الهيكل إلا ذكر المحراب؛ فقد دعا إلى نبذ العصبية الطائفية والفرقة على أساس اختلاف الدين⁽⁴⁴⁾، يقول في قصيدته «المواكب»:

وَالدِّينَ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ	غَيْرِ الْأُولَى لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وَطَر
لِقَوْمٍ لَوْ لَا عِقَابُ الْبُعْثِ مَا عَبَدُوا	بَاءً وَلَوْ لَا الثَّوَابُ الْمُرْتَجَى كَفَرُوا

وبهذا يكون جبران خليل جبران قد حمل لواء الثورة على التعصب والطقوس الدينية والمعتقدات، فهذا هو يقول: «أحبك يا أخي ساجداً في جامعك، وراكعاً في هيكلك، ومصلياً في كنيستك، فأنت وأنا أبناء دين واحد، هو الروح»، وهو الذي يقول أيضاً: «كلنا ندين بدين التوحيد، كلنا نوحده الله ولا نرجع في النهاية إلى سواه.. نحن أبناء الأديان التوحيدية، أفلا ينبغي أن يكون الوطن كذلك واحداً»⁽⁴⁵⁾. كما لجبران خليل جبران مقال بعنوان «رسالة إلى المسلمين من شاعر مسيحي»، ترى فيها ذلك التسامح الديني والحب العميق للدين الإسلامي وللمسلمين، ومما جاء فيها: «أنا مسيحي ولي فخر بذلك، ولكني أهوى النبي العربي، وأكبر اسمه، وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله»⁽⁴⁶⁾.

كما نجد ميخائيل نعيمة يدعو الله أن يجعل قلبه واحة تسقي القريب والغريب، يقول في قصيدته «ابتهالات» من ديوانه «هَمْسُ الْجُفُونِ»⁽⁴⁷⁾:

كَحَلِ اللَّهْمِ عَيْنِي
بَشْعَاعٍ مِنْ ضِيَاكَ
كَيْ تَرَكَ
وَأَجْعَلِ اللَّهْمَ قَلْبِي
وَاحَةً تَسْقِي الْقَرِيبَ
وَالْغَرِيبَ

وبهذه النزعة الإنسانية نلاحظ أن شعراء الرابطة القلمية يشيرون التسامح الديني بين الإنسانية جمعاء، بغض النظر عن دينهم ومذاهبهم ومعتقداتهم، وكان من نتائج هذه النظرة الواسعة إلى الأديان بين شعراء الرابطة القلمية، أننا نجد كثيراً في دواوينهم الشعرية شاعراً مسيحياً يشيد بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، كما نجد شاعراً مسلماً يشيد بالمسيح عيسى عليه السلام، وبمحبة المسيح وحبه للسلام، فهذا رشيد أيوب، يقول⁽⁴⁸⁾:

فَمَنْ يَا تُرَى أَعْلَى الْوَرَى كَمَحْمَدٍ وَأَرْفَعَهُمْ مَجْدًا وَأُسْمِي مَنَاقِبَا
وَمِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التَّسَامُحِ الدِّينِيِّ لَدَى شُعْرَاءِ الرَّابِطَةِ الْقَلَمِيَّةِ، تَأْتِرُهُمْ بَآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَكَانُوا
يَعْجَبُونَ بِهَا، وَيَقْتَبِسُونَ مِنْهَا وَيَسْتَشْهَدُونَ بِبَعْضِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ، فَنَلْحَظُ الشَّاعِرَ إِيْلِيَا أَبُو مَاضِي
ضَمَّنَ بَعْضَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِ - مِثْلًا - فِي قَوْلِهِ (49):

سَرَى يَطْوِي بِنَا الْأَمِيَالِ طَيًّا كَمَا تَطْوِي السَّجَلَّ أَوْ الْإِرَارَا
فَلَمْ نَدْرِ وَجُنْحِ اللَّيْلِ دَاجٍ أَبْرَقًا مَا رَكَبْنَا أَمْ قَطَارَا

فالكلمتان: يطوي والسجل، نلاحظ أنّ الشاعر اقتبسهما من الآية الكريمة: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ
السَّجَلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} الأنبياء، الآية 104،. كذلك في قوله (50):

مَا بَالُ قَوْمِي كُلَّمَا اسْتَصْرَخْتَهُمْ وَصَعُوا أَصَابِعَهُمْ عَلَى الْأَذَانِ

فَعَجَزَ الْبَيْتَ مَاخُودٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...}
نوح، الآية 7.

أيضاً من مظاهر ذلك التسامح الديني، مدح النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم، والإشادة بالدين
الإسلامي دين التسامح والحب والإخاء، والتغني بمجد وتاريخ الدولة الإسلامية، وبث روح الإيمان بالقومية
العربية لتحل محل الانتماء الديني؛ بإعتبار أنّ العروبة وسيلة من وسائل القضاء على التعصب، فها هو رشيد
أيوب وقد خلص من التعصب جملة، واتسعت نظرتة الدينية، يقول (51):

أَصْلِي لِمَوْسَى ، وَأَعْبُدُ عَيْسَى وَأَتْلُو السَّلَامَ عَلَى أَحْمَدَ

وذهب أنيس المقدسي إلى: «أن احتكاك المهجريين بأقوام يعظمون الجامعة الوطنية ويرفعونها فوق
التعصبات الدينية، قد أثار في نفوسهم عاطفة النفور من التعصب الديني وقادهم إلى شيء من الحرية
الفكرية والدينية فدعوا العرب كافة إلى نبذ التعصب الذي يوقع الأمة في الهوان والمذلة، دعوهم إلى التعاون
الوطني والتساهل في الأمور والإعراض عن التفرقة الدينية» (52)، ويستشهد بقول الشاعر «القروي» في المهجر
الجنوبي:

شَغَلْتُ قَلْبِي بِحُبِّ الْمُصْطَفَى وَعَدَّتْ عُرْبِيَّتِي مَثَلِي الْأَعْلَى وَإِسْلَامِي

ويلاحظ الباحث أنّ دعوات التسامح الديني التي ظهرت جلية في أدب هؤلاء المهجريين، جاءت
كردة فعل لتلك الظروف الصعبة المتمثلة في التعصب الديني الأعمى والنزاع الطائفي المرير الذي واجهوه
في أوطانهم وكان سبباً في هجرتهم إلى تلك البلاد النائية، بالإضافة إلى تأثرهم بالبيئة العربية والإسلامية التي
ترعرعوا فيها.

ثالثاً - الإخاء والمساواة:

لم تجمع بين شعراء الرابطة القلمية قرابة النسب العربي فحسب، بل جمعت بينهم المعاناة والقساوة
والغربة، وبعدهم عن أوطانهم وأهلهم، ومرابح صباهم، لذا ارتقوا في قيم الإخاء والتسامح للحد الذي يطلب
فيه المجنى عليه الصفح من الجاني، وفي ذلك يقول ندره حداد داعياً للأخوة والتسامح (53):

أَنَا رَاضٍ بِالْعَصَا يَأْيَهَا الْحَامِلُ رُمَحَكَ
وَسَأُنْسِي جُرْحَ قَلْبِي كُلَّمَا شَاهَدْتُ جُرْحَكَ

وَأَرَى نَيْلَكَ لَيْلِي وَأَرَى صُبْحَكَ صُبْحِي
وَإِذَا أَخْطَأَتْ نَحْوِي فَأَنَا الطَّالِبُ صَفْحَكَ

وقد فاض نبض المهجرين أخوة وسلاماً وتسامحاً ورحمة ووفاء بنزوعهم الإنساني؛ فنلاحظ أن نفوسهم تذوب أسى وحسرة لصور البؤس التي يعاني منها الفقراء، الذين طحتهم مادية الغرب، فينادي «أبو ماضي» مستصرخاً مسترحماً لهم فيقول⁽⁵⁴⁾:

وَأَرْحَمَتَا لِلْبَائِسِينَ فَإِنَّهُمْ مَوْتَى وَتَحَسَبُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ
إِنِّي وَجَدْتُ حُطُوطَهُمْ مُسْوَدَّةً وَكَأَنَّمَا قُودَتْ مِنَ الظُّلْمَاءِ

ونرى «نسيب عريضة» يسخو بكل ما يملك لأخلائه طالما وجد إلى العطاء سبيلاً، فإذا ما تبدلت به الأحوال ونزلت به الخطوب فإنه يضمن بالصديق أن يشاركه الضنك، شعوراً منه في النزوع الإنساني، حيث يقول⁽⁵⁵⁾:

أَعْطِنِي فِي الرَّخَاءِ خِلاً يَفْضِي زَمَنَ اللَّهْوِ وَالْمَسْرَاتِ عِنْدِي
وَإِذَا مَا مَضَى الرَّخَاءُ فَدَعْنِي لِقِرَاعِ الحُطُوبِ فِي الْعَيْشِ وَحَدِي

فنلاحظ كيف صور لنا «نسيب عريضة» قمة الإخاء، وذلك بالإيثار للصديق بالمسرات، وإفراغ النفس بمخاشنة العيش، وعلى طريق الإيثار للآخرين بما يفرحهم، ويحجب الأحران عنهم؛ وفي ذلك يقول «جبران»: «ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه على أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة»⁽⁵⁶⁾.

وفي رفق وأخوة نجد «نسيب عريضة» يدعو إلى التعاون والتعاقد والتكافل حتى ولو كان فيه الضعف سنداً لضعف بدءاً منه للوصول إلى القوة شأن الإنسانية الواعية، فيقول⁽⁵⁷⁾:

يَا أَخِي يَا رَفِيقِي عَزَمِي وَصَعْفِي سِرٌّ نَكَابِدُ إِنَّ الشَّجَاعَ المُّكَابِدِ
فَإِذَا مَا عَيْتُ تَسْتُدُّ صَعْفِي وَأَنَا بَعْدَ ذَا لِضَعْفِكَ سَانِدِ
فَالْحَيَاةُ فِي نَظَرِهِ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ فِي حَقْدٍ وَخِصَامٍ وَصِرَاعٍ وَجَهَالَةٍ، عندما يقول:
إِنَّ هَذِي الْحَيَاةَ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تُشْعَلَ المَّرَأَ بُرْهُةً بِعَلَالَةٍ
فَعَلَامَ الرِّجَامِ وَالرُّكُضِ وَالْحَقْدِ؟ عَلَامَ الخِصَامِ؟ فِيمَ الْجَهَالَةِ؟

فَلتَسِرْ صَاحِبِينَ فِي مَهْمَةٍ الْعَيْشِ فَتَنْطَوِي وَهَادِهِ وَتَلَالِهِ
يَا ابْنَ وُدِّي يَا صَاحِبِي يَا صَدِيقِي لَيْسَ حُبِّي تَطْفُلاً أَوْ ثِقَالَهُ

نلاحظ أنها دعوة إنسانية مخلصه باسم الأخوة، والصداقة والصحة والود، لتحقيق التنافس الشريف والمساواة في السعي وكسب العيش، وهي دعوة إصلاحية حاول بها شعراء المهجر نقل التعاليم السماوية التي ترووا بها في المشرق ليصلحوا بها ما أمكنهم مجتمع المهجر الذي خلا من الروح، وقتلته المادة، وباعد بينه وبين النزوع الإنساني.

ونجد «ندرة حداد» يهاجم الأغنياء وخاصة البخلاء منهم، حتى لا ينجو من هجائه أقرب أقربائه ما دام من أهل اليسر والمال، فهو يوجه إلى قريبه «ميشال حداد» مقطوعة بعنوان «أصحاب القصور» يبدوها

مِيسَالُ مَا الدُّنْيَا بِخَالِدَةٍ لِلْمَرءِ إِنْ لَمْ يَخْلِدِ الدُّكْرُ

وهاهو الشاعر الإنسان «رشيد أيوب» يدق قلبه ويتمزق بعد رؤيته رجلاً أعمى، فيتضرع إلى الله بقلب مرهف أن يضع الله تعالى نظراً لعينيه فيقول⁽⁵⁹⁾:

دَقَّ قَلْبِي دَقَّةَ الْعَطْفِ الْكَثِيرِ لَضَرِيرٍ صَاقَتْ الدُّنْيَا لَدَيْهِ
ثُمَّ نَادَ اللَّهَ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ ضَعَّ إِلَهِي نَظْرًا فِي مُقْتَلِيهِ

نلاحظ في هذه الأبيات الروح الإنسانية العطوفة الصادقة، تلك الروح التي ملئت خيراً ومحبة للجميع، وقد تخير الشاعر صورة معبرة مؤثرة تنم عن مدى نزعة الإنسانية النبيلة تجاه الفقراء والبسطاء.

كما نلاحظ أن مشاعرهم في أروع صورها هي روح الشرق بعقائده وتقاليده في تجليها، فإن الإخاء والعدل والمساواة ميراث إسلامي واضح في القرآن العظيم، وجاء على لسان نبيه الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين، وطبقه أسلوباً ومسلماً هو وخلفاؤه من بعده؛ فشعراء الرابطة القلمية لم يكونوا معزلاً عن الإسلام وتعاليمه ومخالطة معتنقيه في أخوة نبيلة، وأيضاً في الجانب المسيحي - معتقد كل شعراء الرابطة القلمية - ، فإننا نجد الأخوة والمحبة ميراثهم، وأساساً في ديانتهم، ففي قول «بولس الرسول»: «ألبسوا المحبة التي هي رباط الكمال»⁽⁶⁰⁾.

ويرى شعراء الرابطة القلمية أن الإنسان من مصدر واحد هو الطين، وعلى هذا فلا فرق بين عربي وأعجمي، وأبيض وأسود، ما دام أصل الإنسان واحد، وقد انطلقوا من هذا الفهم لإعلان المساواة الإنسانية بين أبناء البشرية، فهذا إيليا أبو ماضي يسجل موقفه تجاه الإنسان المغرور، الذي يتعالى على أبناء جلدته، قائلاً⁽⁶¹⁾:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تَيْهًا وَعَرَبْدٌ

ويلح الشاعر أبو ماضي على فكرة المساواة في أصل الخلق، فيقول:

يَا أَخِي لَا تَهْلُ بِوَجْهِكَ عَنِّي مَا أَنَا فَحَمَةٌ وَلَا أَنْتَ فَرْقَدٌ

أَنْتَ مِثْلِي مِنَ التُّرَى وَإِلَيْهِ فَلِمَ آذَى يَا صَاحِبِي التَّيْهَ وَالصَّدَّ؟

ومهما بلغت مكانة الإنسان يبقى مصيره واحداً، فنجد إيليا أبو ماضي يخاطب «موكب التراب» رامزاً له بالبشرية، التي أخذت تتعالى على مخلوقات الله، متناسية أصل خلقها الترابي، فالبشر متساوون، لا فرق بين عبد وملك، لأنهم في النهاية يعودون إلى أصل واحد، يتساوى فيه الرابح والخاسر، فيقول⁽⁶²⁾:

وَالْعَبْدُ فِي أَغْلَالِهِ وَجِبَالِهِ وَالْمَلِكُ فِي الدُّبْيَاجِ وَالْأَطْيَابِ

أَبَاوَا جَمِيعًا فِي طَرِيقِ وَاحِدٍ الْخَاسِرُ الْمُسْبِي مِثْلَ السَّابِي

وهكذا فإن الإنسانية في نظر إيليا أبو ماضي متساوية في أصل النشأة، ومتحدة في المصير، وكما يقول شاعرنا «ندرة حداد» في ديوانه «أوراق الخريف»⁽⁶³⁾:

وَكُلُّهُمْ مَاضٍ إِلَى قَبْرِهِ الْخَادِمُ الْمُسْكِينُ مِثْلَ الْأَمِيرِ

وعلى هذا فقد جاء شعرهم إنسانياً ووجدانياً، يتعدى الشعور بالذات ليصل إلى الشعور الجمعي، ومن هنا يرى الباحث أن شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي، هم خير من يمثل النزعة الإنسانية في الشعر

العربي الحديث، فقد خلص شعرهم على ضرورة نشر المبادئ الإنسانية النبيلة بين الناس، عن طريق الدعوة إلى الإخاء الإنساني وسيادة العدل والرحمة والمحبة والحرية، ونبذ الظلم والاستبداد، والتسامح الديني، والعطف على الفقراء والمساكين، كما أيقظوا الوعي القومي، ودعوا إلى ثورة تحررية تنقذ الأوطان العربية من عبودية الاستعمار، فتحيّة لشعرائنا وأديبائنا المهجريين، فقد طرحتهم قسوة الأقدار في مطارح النوى فما شغلهم الكفاح في سبيل الرزق ولا ألهمهم أكاليل الفوز والنصر عن أن تظّل قلوبهم مشدودة النياط إلى الوطن الأول وأهله ولغته، وأن يكونوا البلابل المغردة فوق أشجار عربية في مغارس أجنبية، فلو أن أقلامهم لم تجر إلا في الحنين والذود عن الوطن والزهو بالقومية العربية والدفاع عنها وهم في تلك المضارب النائية، لكفاهم ذلك فخرًا.

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:
إن هجرة الأدباء والشعراء من بلاد الشام خاصة من سوريا ولبنان إلى أمريكا لم تكن في مجموعها إلا فراراً من سوء الحالة السياسية والإقتصادية والنفسية في الأوطان.
إن مفهوم «النزعة الإنسانية» لدى شعراء الرابطة القلمية، هي شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير من شمول..شعور الإنسان مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد.
إن شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي، هم خير من يمثل النزعة الإنسانية في الشعر العربي الحديث، فقد خلص شعرهم على ضرورة نشر المبادئ الإنسانية النبيلة بين الناس، عن طريق الدعوة إلى الإخاء الإنساني وسيادة العدل والرحمة والمحبة والحرية، ونبذ الظلم والاستبداد، والتسامح الديني، والعطف على الفقراء والمساكين، كما أيقظوا الوعي القومي، ودعوا إلى ثورة تحررية تنقذ الأوطان العربية من عبودية الاستعمار.

إن التجارب التي عاشها الرابطيون في بلاد المهجر وقبلها في أوطانهم الملتهبة، جعلت قصائدهم تتلون بألوان الحزن والأسى تارة، وأخرى بألوان الطبيعة المتفائلة، وبالتالي تميز شعرهم بالنزعة التفاؤلية والتشاؤمية، وخدمت هذه الثنائية القيم والمثل العليا للإنسانية التي كانت هاجسهم في الحياة، وسجلوا أروع الآثار في تاريخ الأدب العربي بهذه النزعة.

إن دعوات التسامح الديني التي ظهرت جليّة في أدب هؤلاء المهجريين، جاءت كردة فعل لتلك الظروف الصعبة المتمثلة في التعصب الديني الأعمى والنزاع الطائفي المرير الذي واجهوه في أوطانهم.
إن أدب الرابطة القلمية، في جملته أدب مبلى بالدمع، مجل بالأسى، يعترضه الشك والتساؤل، وتعصف به الحيرة والتردد، وتترقق فيه الأنغام الشاكية الحزينة.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:
إجراء دراسات وبحوث حول الأدب المهجري تتناول جوانب أخرى غير التي طرقها موضوع البحث.
إجراء دراسات وبحوث مقارنة بين مدرسة المهجر والمدارس الأدبية الأخرى في العصر الحديث.

المصادر والمراجع:

- (1) مقدمة في منهج البحث العلمي : رحيم يونس العزاوي ، ط2، دار دجلة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008م، ص 98 .
- (2) شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج ، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1964،ص45.
- (3) موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني: سعيد بن سعد الغامدي، مكتبة النوبة ، (د.ط) ، 1992 ، ص45.
- (4) دراسات في تاريخ الأدب الحديث: أحمد عزت عبد الكريم، دار النهضة العربية،(د.ط)، بيروت، 1971، ص144.
- (5) الأدب العربي في المهجر، حسن جاد حسن ، ط1، دار النهضة ، مصر ، 1962 ، ص28.
- (6) قصة الأدب المهجري : محمد عبد المنعم خفاجي ، ط2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان، 1973 ، ص16.
- (7) شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج، مرجع سابق، ص29.
- (8) الأدب العربي في المهجر، حسن جاد حسن، مرجع سابق، ص63.
- (9) أدب المهجر : عيسى الناعوري ، ط3، دار المعارف ، مصر ، 1966 ، ص23.
- (10) جبران خليل جبران (حياته ، أدبه) ، ميخائيل نعيمة ، 1934 ، ص 179 .
- (11) المرجع السابق، ص25.
- (12) المرجع السابق، ص24.
- (13) شعراء الرابطة القلمية ، مرجع سابق، ص99.
- (14) لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم، ط4، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1994، ص150 .
- (15) غربة الإسلام، ابن رجب الحنبلي ، 1954 ، ص 64 .
- (16) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن، 2008. ص181.
- (17) تاج العروس في جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي ، ص 530 .
- (81) لسان العرب، مرجع سابق، ص10.
- (19) الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر : أحمد حمد النعيمي ، (د.ط) ، دار اليازوري ، عمان ، الأردن، 2008 ، ص 17.
- (20) لسان العرب، مرجع سابق، ص10.
- (21) ينظر: المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، للأب لويس معلوف ، مادة (أنس) ، وينظر : أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد (1992) لسعيد الخوري الشرتوني ، وينظر: محيط المحيط(1977) ، لبطرس البستاني
- (22) النزعة الإنسانية في الشعر العربي الحديث، فوزي يوسف إبراهيم ، 2020 ، ص 183 .
- (23) القومية والإنسانية : عزيزة مريدن ، (د.ط)، الدار القومية ، القاهرة ، مصر ، 1966 ، ص476 .
- (24) جوانب مضيئة من الشعر العربي ، محمد عبد الغني حسن ، 1972 ، ص 41 .

- (25) الإنسان في القرآن:، عباس محمود العقاد، ، 2012، ص 19.
- (26) ديوان الأرواح الحائرة: نسيب عريضة، ط2، دار الغزو، عمان، الأردن، 1992، ص 256.
- (27) الأعمال الكاملة لرشيد أيوب ، 2018، ص 218.
- (28) شعراء الرابطة القلمية، نادرة جميل سراج، 1964، ص 213.
- (92) الأعمال الكاملة لرشيد أيوب : مرجع سابق، ص 240.
- (30) ديوان همس الجفون، ميخائيل نعيمة ، 2004، ص 14.
- (31) قصة الأدب المهجري ، محمد عبد المنعم خفاجي ، 1973 ، ص 335 .
- (32) ديوان إيليا أبي ماضي، 2010 ، ص 65.
- (33) المرجع السابق ، ص 125.
- (34) ديوان الأرواح الحائرة، نسيب عريضة،، ص 139.
- (35) أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، نظمي بديع ، 1976، ص 543.
- (36) الأعمال الشعرية الكاملة: إيليا أبو ماضي، تقديم د. عبد الكريم الأشتر، (د.ط.)، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، 2008، ص 251.
- (37) ديوان إيليا أبي ماضي، 2010 ، ص 70.
- (38) ديوان الأيوبيات، رشيد أيوب ، 1916 ، ص 177.
- (39) قصيدة المواكب، جبران خليل جبران ، 2018، ص 5.
- (40) الأعمال الشعرية الكاملة: إيليا أبو ماضي، تقديم د. عبد الكريم الأشتر، (د.ط.)، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، 2008، ص 408.
- (14) ديوان الجداول:، يليا أبو ماضي، 1986، ص 129.
- (42) الأعمال الشعرية الكاملة لرشيد أيوب، 2018، ص 123
- (43) ديوان الأيوبيات، رشيد أيوب، 1959، ص 37.
- (44) التسامح الديني لدى شعراء المهجر، مرتضى بابكر أحمد، 2022، ص 57.
- (45) المرجع السابق ، ص 402.
- (46) صحيفة أخبار الخليج: المحميد محميد، العدد 15836، البحرين، أغسطس 2021، ص 9.
- (47) ديوان همس الجفون، ميخائيل نعيمة، ط6، مؤسسة نوفل، بيروت، 2004، ص 36.
- (48) ديوان الأيوبيات رشيد أيوب، 1916 ، ص 37 .
- (49) ديوان إيليا أبي ماضي:، 2010 ، ص 75.
- (50) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، زهير ميرزا، 1963، ص 270.
- (51) ديوان الأيوبيات ، مرجع سابق ، ص 14 .
- (52) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، 1998 ، ص 284.
- (53) ديوان أوراق الخريف، ندره حداد ، 1967 ، ص 34.
- (54) الأعمال الشعرية الكاملة، إيليا أبو ماضي، 2008، ص 543.

- (55) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية : جورج صيدح ، ط1، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، مصر ، 1956، ص276
- (56) أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، نظمي بديع، 1976، 538.
- (57) ديوان الأرواح الحائرة: نسيب عريضة، ط2، دار الغزو، عمان، الأردن، 1992.
- (58) ديوان أوراق الخريف، مرجع سابق، ص144.
- (59) ديوان أغاني الدرويش : رشيد أيوب ، ط1، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، مصر ، 2012، ص160 .
- (60) الكتاب المقدس، الاصحاح 3، الاية 14.
- (61) ديوان الجداول، أبو ماضي، مرجع سابق ، ص39.
- (62) ديوان تبر وتراب، أبو ماضي، 1960، ص24
- (63) ديوان أوراق الخريف ، مرجع سابق، ص121.